

جواد الزروقي، أطروحة الدكتوراه في الآداب، تحت عنوان: 'المرأة والشعر الأمازيغي بمنطقة الأطلس المتوسط جمع ودراسة'، والمسجل بوحدة المرأة والكتابة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، نوقشت بتاريخ 11-11-2014، الكلمات المفتاحية: المرأة - الشعر الأمازيغي - منطقة الأطلس المتوسط (تنويعا تمازيغت).

حاول هذا العمل إبراز خصوصية المرأة في الإبداع الشعري، ومدى تعبيرها عن أشياء لم يتطرق إليها الرجل، افتراضا بأن للنساء تركيبة فكرية وعقلية ونفسية تختلف عن الرجال، مما يجعل أعمالهن ذات ملامح خاصة وفارقة، تعبر عن خلجات المرأة وأدق أحاسيسها، واقتربها من الهم الإنساني، ونبض الحياة الذي تعبر عنه. كما قدم صورة عامة عن حجم مساهمة المرأة الأدبية، لأنها - كما يبدو - تعيش ظروفًا خاصة تنعكس على رؤيتها وتصورها للأشياء والعالم. وبهذا فاهتمام الباحث انصب على المنتج الإبداعي الشعري الذي تبدو فيه المرأة كذات فاعلة ومنتجة، في حين، تم الكف عن الاهتمام بالزوايا التي تحضر فيها المرأة كمادة للاستهلاك، والتي يستمد منها الرجل المبدع موضوع إنتاجه الفني أي: (الأشعار التي تغنى فيها الرجل الأمازيغي بالمرأة)، لأن إبداع المرأة نفسها هو القمين بتسليط الضوء على الذاكرة الإبداعية للمرأة كذات منتجة، وخصوصا "بمنطقة الأطلس المتوسط"، والتي تمثل البيئة الجغرافية التي اختارها كمجال للبحث، حيث تعتبر فيها الأمازيغية لغة الحياة اليومية، وخصوصا تنويعا "تمازيغت" اللهجة السائدة بوسط المغرب.

وهكذا فموضوع هذا البحث يتكون من قسمين: أولهما نظري، وثانيهما هو الديوان. ففيما يتعلق بالقسم الأول النظري والتحليلي من الأطروحة، فيتضمن ثلاثة أبواب، الباب الأول، والغرض من المواد الواردة فيه هو الحديث عن المرأة في التراث الشعري الأمازيغي، وما يميز إبداعها بمنطقة الأطلس المتوسط، وهو في الواقع بمثابة مدخل عام يسلط الضوء على موضوع البحث ويجليه، ويعرض أهم التطورات التي شهدتها الشعر الأمازيغي، ويركز الاهتمام على خصوصية الإبداع النسائي الأمازيغي من خلال إنتاجات المرأة. ورصد مدى التفوق الذي عرفته إبداعاتها، واللمسات الفنية التي خلفتها في أنماط شعرية مختلفة، وذلك لتحديد حجم امتلاكها لرؤية فنية وتصور واضح للممارسة الشعرية.

ويهدف الباحث من خلال فصول الباب الثاني إلى الكشف عن المقومات التعبيرية والجمالية التي ترقى بالشعر النسائي الأمازيغي إلى حرم اللغة الشعرية، من خلال الحديث عن مميزات القاموس الشعري، والأساليب الفنية، والمحسنات اللفظية، والصور الشعرية، فضلا عن الفاعلية الإبداعية والتشكيل الموسيقي في هذه التجربة. ويتساءل في كل ذلك: هل عبرت الشاعرة عن أصالة التجربة الشخصية لديها، ووصمتها بطابعها الخاص؟ أم أنها خضعت للتراث الشعري الأمازيغي، ولم تقدر على الفكك منه والإفلات من سطوته، وبالتالي خضوعها لسيطرته واستعباده.

واستغرق الباب الثالث أهم التيمات الدلالية التي تختزل رؤية الشاعرة للعالم، ومنظورها الخاص للوجود الإبداعي. وهكذا تم تسليط الضوء على مواضيع الغزل والهجرة والغربة، والحكمة، والهوية، وتقاليد الأعراس والمناسبات. كل هذا في محاولة للتعرف على نظرة الشاعرة للحياة والكون والكائنات، وإظهار عبقريتها وإبداعها، ومجالات حكمتها ورؤيتها النافذة، وتفسيرها لجوانب وجدانية وجمالية في الحياة، من خلال صياغة لحظات خصبة عايشتها الشاعرة انطلاقاً من موال عفوي، أو أغنية عمل حماسية، إلى نشيد حماسي ملتهب، وقطعة غرامية عذبة، ومناجاة دينية رقيقة، وقصائد قصصية ملحمية.

وتشكل عملية الجمع الجزء الهام من إشكالية هذا البحث، أي صناعة الديوان، وقد تأسست على خطوات منهجية، تتلخص في عملية الجمع والتدوين والتصنيف. كما تحدد طبيعة أساسية لهذا الشعر، قيد الدراسة، وهي الشفاهية. وقد جاء الديوان ليحتضن جزءاً من هذا التراث، ويعرف به ويفسح المجال لمناقشته، ويعيد الاعتبار له، عبر تدوينه وإعادة قراءته قراءة نقدية. كما يؤدي وظيفة مزدوجة، تكمن الأولى في توثيق الشعر الأمازيغي الشفهي وتدوينه، حيث تم جمع متن شعري غني ذي موضوعات مختلفة، وقد تمت ترجمته بشكل يحاول قدر الإمكان الحفاظ على مضمونه وبعض سماته الفنية وخصائصه الجمالية. وتتمثل الوظيفة الثانية في مقارنة هذا المتن الشعري الثري باستخدام مناهج نقدية حديثة، تستحضر الأطراف التي تشارك في عملية الإبداع، ويقصد بها الباحث الشاعرة والنص والمتلقي.